

# العراق والبعث

أيها الرفاق<sup>(١)</sup>

من الصعب جداً عندما أوجد بينكم، أي بين حزبنا المناضل، من الصعب جداً ان لا أكون عاطفياً، لاني أحببت هذا الحزب منذ خطواته الاولى. قدّرت فيه مزايا نضالية، واخلاقية قلما وجدتها في فروع اخرى او اقطار اخرى وكنت وأنا الذي بدأت النضال في القطر السوري، تربطني برفاقي في سوريا كل روابط النضال، اعتبر بأن حزبي هو في العراق، ان الحزب في الدرجة الاولى هو في العراق.

لذلك تستطيعون ان تقدروا فرحتي وانا قد بلغت هذه السن عندما أرى وألمس، هذا التقدم الذي يحققه الحزب في العراق، انني اشعر كلما زرتكم - وحتى عندما اكون بعيداً شعوري واحد ولو انه يصبح اقوى عندما التقى بكم لقاء مباشراً - أشعر بتعويض عن كل الانعاب والالام التي مر بها المناضلون في هذا الحزب. فالمشقة والالم قانون الحياة وقانون النضال والثمن لكل شيء جدير بالاحترام. لا بد من دفع الثمن لكل شيء عظيم في هذه الحياة.

لماذا وضعت كل هذه الآمال وهذه الثقة وهذه العاطفة المحبة في حزبنا في العراق؟

قد يكون هناك عامل بسيط لا اريد ان أبالغ فيه، هو ان التوجه القومي يدفع بشكل لاشعوري الى التطلع الى أبعد من القطر الذي يعمل فيه المناضل. هذا عامل طبيعي وبسيط. عامل آخر، عندما أحلل أحياناً بيني وبين نفسي، هناك حب

(١) حديث مع اعضاء قيادة فرع بغداد لحزب البعث العربي الاشتراكي في ٢١ / ٦ / ١٩٧٤.

للعراق نشأنا عليه في سوريا من قبل نشوء الحزب جعلنا نتطلع الى العراق . كان الاستعمار الفرنسي ثقيل الوطأة على سوريا وكان الوضع في العراق أخف لاعتبارات كثيرة، وربما كنا نبالغ في تصور هذا الفارق لكي نقوي الامل في انفسنا بأن هناك قطراً عربياً أحسن حالاً من سوريا أكثر تحراً ويمكن ان يكون هو المنقذ .

فاذا عمدنا الى اسلوب التحليل النفسي لكي أبحث في تربيتي ونشأتي عن أسباب هذا التعلق، أجد هذا العامل ايضاً بأنه ذو أهمية . كانت سوريا كان الشباب المؤمن بعرويته وأمته والمستنكر لوجود الاجنبي واحتلاله والمتطلع الى الاستقلال والى الوحدة العربية كان ينظر الى العراق .

ولكن هناك عوامل اكثر وضوحاً نشأت بعد نشوء فرع الحزب في العراق وبعد ان بدأت تتوثق الصلات بيني وبين شباب الحزب ومناضليه فالجدية التي لمستها، التي تجسدت في البعثيين العراقيين لم أجد لها مثيلاً في فروع الحزب الاخرى . منذ البداية وجدت مستوى من الجدية والرجولة كنت دوماً احلم به واعتبر انه هو الشرط لكي يحقق الحزب اهدافه . . . أصبحت أجد ان شخصية الانسان العربي في العراق لها مميزات . والحزب الذي نشأ على هذه الارض ومن هذا الشعب اكتسب هذه المميزات، ولا تستغربوا سماع هذه الاشياء مني . قومية العقيدة البعثية لاتعني بأنه ليس للاقطار العربية مميزات مختلفة لان هناك بعض صفات يختص بها قطر، بينما هناك صفات اخرى يختص بها قطر آخر وهكذا . على المدى البعيد والمستقبل البعيد نطمح الى تكوين أمة متجانسة ولكن التجانس الايجابي الذي يحافظ على المزايا القطرية في كل قطر مع العلم بان هذا المطمح ، اقرب الى الشيء النظري . . الى المطلب النظري، اذ من طبيعة الاشياء ان تبقى بعض الفوارق وبعض الخصائص، وهذا يغني الحياة القومية ولا يضيرها ولا يؤذيها عندما تتوحد الامة في دولة واحدة . من عوامل إثراء نفسية الامة وعبقريتها ان تكون الوحدة ضمن التنوع . هذه الصفات أذكرها ليس فقط لاني متأثر عاطفياً بلقائكم، بل عن قناعة علمية بأن في القطر العراقي مزايا تميز شخصية الانسان العربي، مزايا، اذا احسن توجيهها فانها تستطيع ان تعمل الاعمال الكبيرة والاعمال الخارقة احياناً . وفي كل الاحوال

كما قلت هي تمثل هذا المستوى من الجدية، هذا المستوى الذي هو شرط أساس لكي يكون حزب البعث العربي الاشتراكي . . حزباً تاريخياً . اي ان يحقق انجازات كبيرة ويجري تحولات عميقة في حياة الامة العربية والمجتمع العربي ، لا ان يبقى في عالم التمنيات والافكار المجردة .

### أيها الرفاق

طبعاً سررت كثيراً لهذا العرض الذي سمعته عن أعمالكم وعن تطور نضالكم وعن التقدم المطرد الذي تسجلونه . لم أفجأ بهذه المعلومات فانا اعرف بانكم على الطريق الصحيح . . طريق الجد والدأب والعمل بين الجماهير وهذا هو الاساس ان لا تتبعدوا عن الجماهير . واذكر انني في عام ١٩٦٩ عندما زرتكم أول مرة بعد الثورة ، او ثاني زيارة ربما قلت في حديث او في لقاء من لقاءاتي مع الحزبيين بأن حزبنا في العراق أصبحت له جذور عميقة في هذه الارض ومع هذا الشعب وليس من قوة تستطيع ان تقتلع هذه الجذور بعد الآن . . .

وبعد خمس سنوات من هذه الملاحظة استطيع ان أوكد هذه الحقيقة واقول بان هذه الجذور قد قويت وترسخت اكثر من ذي قبل والان تمر بالامة العربية فترة من أصعب ما مر عليها في عشرات السنين الماضية ويجب ان يكون للجماهير العربية التي تتعرض في عدة أقطار، الاقطار القريبة من اسرائيل بصورة خاصة - وسيشمل ذلك اقطاراً أخرى - هذه الردة قد تتوسع رقعتها يجب ان يبقى للجماهير العربية مكان يشع منه الامل تتطلع اليه لتقوى على متابعة النضال، لتقوى على صد الهجمة الشرسة التي تتعرض لها، يجب ان يكون هذا القطر هو الامل وهو قلعة الصمود وان يكون الحزب بتعاونه وتفاعله اليومي مع الجماهير ويتعاون مع الفئات الوطنية الاخرى في هذا القطر وانفتاحه عليها يجب ان يهيأ العراق لهذا الدور وان يجعل اي احتمال مهما كان ضعيفاً لاي تراجع او نكسة شيئاً مستحيلاً، ان يصبح الحزب مساوياً للمواطنين العراقيين بكامل عددهم، أن يصبح العشرة ملايين عراقي عشرة ملايين مناضل مستعدين للدفاع بالسلاح وبجرأة النضال وإيمان المناضلين عن هذه القلعة الصامدة . الصمود كمرحلة اولى يجب ان يعقبها تقدم لمساعدة المناضلين ولاسناد

نضال الجماهير العربية في الاقطار الاخرى .

### أيها الرفاق

قد نواجه أياماً وشهوراً صعبة فيها آلام كثيرة وتتطلب جهوداً وتضحيات ولكنني مؤمن بأن هذه الفترة لن تطول كثيراً، لان هناك حقائق ظهرت في الآونة الاخيرة اي خلال حرب تشرين هي من القوة والوضوح واليقين لدرجة لاينفع فيها اي احتيال واي تزوير كما تحاول بعض الانظمة ان تفعل، فتصور الاستسلام بصورة النصر. الحقائق الجديدة التي ظهرت ليست حقائق وقتية عارضة سطحية وانما هي نتيجة تفاعل عميق في نفس الشعب العربي من اقصى الوطن العربي الى اقصاه كجواب على الهزيمة المصطنعة، الهزيمة التي الحقت به في حرب حزيران، هذا التفاعل، هذه اليقظة في الشخصية العربية لم تكن يقظة بسيطة، لقد عادت تستجد بكل تاريخها من أيام ظهور العقيدة، من أيام ظهور الاسلام دين العرب، وأيام الفتح العربي وأيام اشراق الحضارة العربية، كل هذا التفاعل اختمر في النفس العربية في هذه السنوات المعدودة بين حزيران ٦٧ وتشرين ٧٣ وظهرت القوة الجديدة التي تأمروا عليها ليخنفوها في مهدها ولكنها ليست من الاشياء التي يمكن خنقها، وانما هي ظاهرة تاريخية . . انها استرداد الامة لوجودها، لشعورها بوجودها، لشعورها بمعنى وجودها، لرسالتها في الحياة .

لذلك تبدو الاخطار المتوقعة في المستقبل القريب تافهة وثانوية ولا يمكن ان تخيف شعباً يعيش دوماً في الافق التاريخي، ويعلم ان حياته ستكون دوماً على طريق الصعود الشاق، الصعود البطولي .

اني اتمنى لكم كل توفيق واتمنى ان تتكرر لقاءاتنا وان أعوض عن الغياب الذي كان طويلاً بيننا ولم أردّه وانما ظروف عارضة فرضته، ولم أبتعد عنكم يوماً واحداً . كنت معكم . . مع هذا الحزب في كل عملكم ونضالكم وسأبقى معكم انشاء الله، الى آخر لحظة من حياتي .

٢١ حزيران ١٩٧٤